

نوعان من الأصدقاء

هيأت الظروف أن يكون لى نوعان من الأصدقاء : نوع فقير أو ممن يطلق عليهم الآن من محدودى الدخل ، ونوع غنى ، وبالتالي ينبغي أن نطلق عليهم أصحاب الدخل غير المحدود . طبعاً أصدقاء النوع الأول كثيرون ، وأنا أحب الجلوس معهم فى أى وقت ، لأننى أجد فيهم الكثير من البساطة فى الحديث ، والعفوية فى التصرف . وأهم ما يميز هؤلاء أنهم إذا فرحوا ضحكوا من قلوبهم ، وإذا حزنوا بكوا على الفور . الأمور فى عيونهم واضحة . ولديهم مبادئ ثابتة يتمسكون بها . ولعلها هى التى تحميهم من الوقوع فى الخطأ ، وتحفظهم من ارتكاب الجرائم . إنهم يعانون ، ولكنهم يجدون أن المعاناة هى سنة الحياة . عندما يأتى وقت الطعام ، يقوم أحدهم فيعد المائدة من الفول والطعمية والجبن والطماطم والجرجير ، وإذا كان الحال ميسوراً أحضروا بطيخة ، أو كيلو عنب . يأكلون بشهية ، ولما يشكون أبداً من عسر الهضم .

أما مجموعة أصدقاء الدخل غير المحدود فهم قلة ، وأنا لا ألتقى بهم إلا على فترات متباعدة . وللمحق أقول : إننى أحب الجلوس معهم ، بل وأسعى لذلك ، لكنهم دائماً مشغولون : فلان مسافر للخارج ، وفلان يستكمل المشاليه فى الساحل الشمالى . وفلان منهمك فى مشروع (المول) الذى يبنيه على أطراف العاصمة .. لا نلتقى أبداً فى النهار ، وإنما بعد التاسعة أو العاشرة مساء . والمكان كافيتريا أحد الفنادق الكبرى . وهم ودودون جداً ، لكنهم عند الضرورة متحفظون . تشعر أنك لا ينبغي أن تتجاوز معهم حدوداً معينة ، ربما حتى لا تطلب منهم شيئاً . يتحدثون بالمدايين ، وعندما يأتى الجرسون يدققون كثيراً فى نوعية الطعام ، والسلطات . لكل منهم مرضه الذى يفرض عليه رجيماً معيناً . وهم بالكامل يشكون من عسر الهضم ، وتعب القولون . وبعضهم يعانون من النقرس . أفضل شئ أقضى به السهرة معهم هو تناول زجاجة مياه معدنية ، أظلم أشرب منها وأنا أستمع لأحاديثهم ، وعندما تقرب السهرة على الانتهاء يقولون : لابد أن نكثري جماعة من هذا اللقاء ، الذى يخرجنا من المهم الى نحن فيه !

حاولت مراراً أن أقارن بين كمية الحزن والقلق التى لدى أصدقائى من النوع الأول والنوع الثانى فلم أستطع . وأخيراً قلت لنفسى : مادمت أصادق هؤلاء وأولئك ، فلماذا لا آخذ العبرة منهم جميعاً . وذات يوم قلت لنفسى : وأين أنا من هذين الصنفين ؟ هل أنا من أصحاب الدخل المحدود ، أم من أصحاب الدخل غير المحدود ؟ ومن العجيب أننى وجدتني لا أنتمى إلى هؤلاء ولما إلى هؤلاء . وحمدت الله كثيراً